

دَقَاتُ قَلْبِهَا الضَّعِيفِ تُرْتَبُ مَعَ خُطَوَاتِي المُتَعَجِّلَةِ تَحْذِيًا وَثِقًا لِكُلِّ هَوَاجِسِ الصَّمْتِ الَّتِي تُحَاصِرُنِي. يَتْبَاعِدُ كَثِيرًا مَعَ كُلِّ سَيَّارَةٍ تَمُرُّ مُسْرِعَةً دُونَ أَنْ تَتَوَقَّفَ أَوْ (تَزْمُرَ). فَقَدْ كُنْتُ أَقْطَعُ أَكْثَرَ مِنْ هَذِهِ الْمَسَافَةِ أَيَّامَ كُنْتُ جُنْدِيًّا، فَالسَّيْرُ الطَّوِيلُ مَعَ كَامِلِ التَّجْهِيزَاتِ العَسْكَرِيَّةِ دَرَسٌ جَيِّدٌ أُسْتَفِيدُ مِنْهُ الآنَ، وَلَا أَنْسَى تِلْكَ اللَّيْلَةَ الَّتِي قَطَعْتُ فِيهَا عِشْرِينَ كِيلُو مِترًا فِي أَرْضٍ وَعِرَةٍ دُونَ تَوَقُّفٍ. يُعِيدُنِي إِلَى عَالَمِ الشُّعُورِ: لَقَدْ أَتَعَبْتُكَ يَا وَلَدِي. «رُبَّمَا يَوْقِفُكَ» حَمَلْتَنِي شَحْنَةَ السَّهْرِ فِي أَحْشَائِهَا. كُلُّهَا تَغَارِيدُ حُبٍّ وَمَوَدَّةٍ تَنْتَقِلُ مَعِي. سَيَّارَةٌ تَقْتَرِبُ - جِلْدُهَا سَتَمْرٌ مِثْلَ غَيْرِهَا - تَقْفُ بِمُحَازَاتِي، حِينَئِذٍ تَنْبَهْتُ لِخُطُوطِ (البِيجَامَا) الَّتِي أَلْبَسْتُهَا، مَا هَذَا؟ أَيُظَنُّ أَنَّي أَحْمَلُ كَيْسَ مَلَابِسٍ! أَنْسَيْتُمْ غَاضِبًا. لِمَاذَا أَفْكَرُ فِي الْوَقْتِ، لِكَيْ مَا يَكُونَ! فَحَرَّصِي عَلَى حَيَاةِ أُمِّي شَيْءٌ آخَرُ! أَرْقَامُ السَّيَّارَاتِ الَّتِي تَعَكَّسُهَا الْأَضْوَاءُ الخَافِقَةُ تَهْزُ مَتِي، وَكَأَنَّهَا تَقُولُ: مَتَى سَتَصِلُ يَا مَشْكَكَ؟ يَا لِفَقِيرِ الَّذِي يَرْكَبُ قَدَمَيْهِ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ المُتَأَخِّرَةِ مِنَ اللَّيْلِ. الكُتْلُ اللَّحْمِيَّةُ الَّتِي أَرَاهَا مُكْوَمَةٌ دَاخِلَ السَّيَّارَاتِ تَهْزُ أَطْرَافَهَا سَاجِرَةً. وَتَخْتَفِي بَيْنَ العِمَائِرِ وَالْأَشْجَارِ الَّتِي أُتَسَلَّى بِعَدِهَا كُلَّمَا خَلَا الشَّارِعُ، هَا قَدْ وَصَلْنَا. خَرَجْتَ نَشِيطَةً دَاخِلَ غُرْفَةِ الإسْعَافِ، وَانْتَشَارَ الدَّمُ عِنْدَ البَابِ. وَأُرِدُّ مَعَهَا: «يَا رَبِّ الطِّفْ». النَّسِي أَنِ أُمِّي وَاهِبَةٌ وَمَرِيضَةٌ: أَحْمِلُهَا عَلَى الكُرْسِيِّ فِي صَالَةِ العِبَادَةِ وَهِيَ تَدْعُو لَهُ «اللَّهُ لَا يَضُرُّهُ». وَقَفْتُ مَقَابِلَ غُرْفَةِ الإسْعَافِ: أَنَا عَائِزَةٌ خِلَاصَةً لِلصَّفْحَاتِ مِتْكَتَبَهَا شَهِدَةُ هَذِهِ العِمَارَاتِ المُتَنَائِرَةِ أَمَامِي عَلَى جَانِبِي الشَّارِعِ تُخْفِي دَاخِلَهَا التُّرْجَمَةَ الحَقِيقِيَّةَ لِأَثَرِ الزَّمَنِ الَّذِي نَظَنُّهُ يَمُرُّ، وَفَاءً أُمِّي يَرُدُّنِي إِلَى عَالَمِ الطَّمَأْنِينَةِ كُلَّمَا أَوْغَلْتُ فِي تَفْرَسِ الْأَشْيَاءِ. دَقَاتُ قَلْبِهَا الضَّعِيفِ تُرْتَبُ مَعَ خُطَوَاتِي المُتَعَجِّلَةِ تَحْذِيًا وَثِقًا لِكُلِّ هَوَاجِسِ الصَّمْتِ الَّتِي تُحَاصِرُنِي. يَتْبَاعِدُ كَثِيرًا مَعَ كُلِّ سَيَّارَةٍ تَمُرُّ مُسْرِعَةً دُونَ أَنْ تَتَوَقَّفَ أَوْ (تَزْمُرَ). عَائِزَةٌ خِلَاصَةً

في 3 اسطر